وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ
الدراسات العليا / دكتوراه
المادة : استشراق

مَدْرَسَةُ الْإِسْتِشْرَاقِ الْفَرَنْسِيّ

أ.د. مثنى عباس عواد

للعام الدراسي : ٢٠٢٥ / ٢٠٢٦

مَدْرَسَةُ الْإِسْتِشْرَاقِ الْفَرَنسِيِّ

من الصعوبة بمكان تحديد بداية نشأة المدرسة الفرنسية في الاستشراق تماماً كصعوبة تحديد بداية نشأة الاستشراق عموما، ومع ذلك فيمكن القول بأن علاقة فرنسا بالإسلام عموماً وبالمشرق الإسلامي تحديداً، قد مرت عبر مراحل عديدة، تعد تلك المراحل والفترات هي أهم المؤثرات في تحديد اتجاه المدرسة الاستشراقية الفرنسية تجاه الإسلام والعالم الإسلامي اليوم، وفيما يلي

:عرض موجز لأهم تلك المراحل

:أولاً : مرحلة الفتوحات الإسلامية

تعتبر الفتوحات الإسلامية في الغرب النصراني و منها المقاطعات الفرنسية أوائل القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي زمن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بداية الاتصال الفعلي بين فرنسا والإسلام، إذ وصلت جيوش الفتحالإسلامي إلى فرنسا قادمة من دولة الخلافة الإسلامية، قاصدة نشر الإسلام في ربوع الغرب النصراني .قاطبة

ويعتبر التابعي الجليل و القائد المسلم الفذ عبد الرحمن الغافقي من أعظم القادة المسلمين عبر التاريخ الإسلامي الذين ساهموا في حملات الفتح الإسلامي لأوروبا والتوغل في التراب الفرنسي، وأوشكت قواته أن .تضم فرنسا إلى سلطان الدولة الإسلامية

تولى عبد الرحمن الغافقي إمارة الأندلس عام ١١٢هـ، وقد عرف بالصلاح

والاستقامة والعدل والبعد عن الدنيا، فبعد أن أصلح شؤون البلاد الداخلية توجه لفتح أوربا مبتدأ بفرنسا، وكانت تعرف في ذلك الوقت ببلاد الغال، واستطاع أن يفتح الحصون والمدن وأن يدك القلاع الفرنسية الواحدة تلو الأخرى حتى ضم جنوب فرنسا وتحديداً عند جبال البرانس بكامله إلى الدولة الإسلامية، وشارف على اجتياح فرنسا فما كان بينه وبين وسط فرنسا باريس حاليا) سوى مسافة وجيزة، لولا أن قدر الله لقواته غير بجيوشه التي تمكن من Charles Martel) ذلك إذ تصدى أحد القواد الفرنسيين ويسمى شارل مارتل حشدها في معركة (بواتييه) التي سماها المسلمون بلاط الشهداء)، وهزمت الجيوش الإسلامية بعد قتال ضار لثمانية أيام وقتل قائد المسلمين عبد الرحمن الغافقي وكان من أهم أسباب الهزيمة اشتغال المسلمين .بالغنائم الكبيرة التي حصلوا عليها في معاركهم السابقة مع الفرنسيين

كانت تلك الفترة الزمنية والحادثة الكبيرة مناسبة كبرى مكنت الفرنسيين من التعرف على المسلمين، لقد قدر الله أن يتوقف المد الإسلامي لأوربا عند هذا الحد، ولولا ذلك لانتشر الإسلام في الغرب النصراني، ولدخلت المدن والدول الغربية آنذاك في رحاب الإسلام كما حصل في العراق وبلاد الشام وغيرها من المناطق، وهذا ما

عبر عنه أحد المؤرخين الغربيين إذ يقول المؤرخ إدوارد جيبون في كتابه اضمحلال الإمبراطورية الرومانية»:
«خط انتصار المسلمين طوله ألف ميل من جبل طارق حتى نهر اللوار كان غير مستبعد أن يكرر في مناطق أخرى في قلب القارة الأوروبية حتى يصل بالساراسنز (يقصد المسلمين إلى حدود بولندا ومرتفعات أسكتلندا، فالراين ليس بأصعب مروراً من النيل والفرات، وإن حصل ما قد ذكرت كنا اليوم سنرى الأساطيل الإسلامية تبحر في مصب التايمز بدون معارك بحرية، ولكان القرآن يدرس اليوم

.(في أوكسفورد، ولكان علماء الجامعة اليوم يشرحون للطلاب باستفاضة عن الوحي النازل على محمد (١

هذه المرحلة واحدة من أهم المراحل المؤثرة في تاريخ الاستشراق الفرنسي إذ كان هناك احتكاك مسلح دام بين المسلمين ولفرنسيين في عقر دارهم فرنسا، ولا شك أن الانتصارات الكبيرة التي حققتها الجيوش الإسلامية في فرنسا وكذلك التهديد الكبير الذي كانت تمثله للنصرانية من جهة وللوجود الفرنسي والأوربي من جهة أخرى تأثيره الكبير في طبيعة العلاقة المتأزمة مع الإسلام والعالم الإسلامي.

ثانياً: الأندلس

كان الغرب النصراني يعيش فترة مظلمة من فترات حياته حيث التخلف المادي والحضاري، بينما دولة الخلافة الإسلامية في الأندلس كانت تعيش أوج ازدهارها الحضاري وتقدمها في كافة الميادين العلمية، ولذا توجه الفرنسيون إلى الأندلس؛ حيث أقبلوا على تلقى علوم المسلمين بنهم شديد بغية معرفة أسرار قوة المسلمين وأسباب ازدهارهم وحضارتهم التي بهرت العالم أجمع والتي كانت تسير معهم أينما حلوا.
وفي طليعة الفرنسيين الذين درسوا في مدارس الأندلس الإسلامية الراهب الشهير جربير دورياك Gerbert d'Aurillac ٣٢٧ ٩٣٨ / ٣٩٤هـ

١٠٠٣م، وقد سافر هذا الراهب الفرنسي إلى الأندلس الإسلامية وقضى

١٧٦ / ٥٤

رت من سنة ٣٥٧هـ إلى ٣٦٠هـ / ٩٦٧-٩٧٠م في مدارسها وخاصة جامعة قرطبة، وهي مركز العلم والثقافة في ذلك الحين، وتلقى فيها كثيراً من المعارف حتى أصبح أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، وتقلد منصب البابوية في روما في آخر حياته ٣٩٠هـ ٣٩٤هـ / ٩٩٩-١٠٠٣م باسم سلفستر الثاني Sylvestre II فكان أول بابا فرنسي، والبابا الوحيد الذي تعلم اللغة العربية عند المسلمين في الأندلس، وأمر بإنشاء مدرستين لتعليم هذه اللغة العربية الأولى في روما، مقر تقلده لمنصب البابوية، والثانية في ريمس، موطنه في فرنسا، ثم أضيف إلى هذه الأخيرة مدرسة شارتر (١). يعتبر الفرنسيون في طليعة المستشرقين الأوربيين الذين تقاطروا إلى دولة الخلافة الإسلامية في الأندلس، ويمكن القول أن جذور الحركة الاستشراقية تعود إلى القرن الرابع الهجري القرن العاشر الميلادي تقريباً، وإن لم يكن قد ظهر هذا المصطلح في ذاك العهد؛ حيث ازدهرت الحضارة الإسلامية في الأندلس ووجدت المدارس والجامعات التي كان يتردد إليها المتعلمون والباحثون من جميع بلاد أوروبا.

وبعد أن عاد أولئك الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفاتهم، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية وأخذت الأديرة تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ، واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة

ستة قرون. ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية، وترجموا

.(القرآن والكتب العربية العلمية والأدبية (١

وبفضل هذه البعثات العلمية عبرت الثقافة الإسلامية من إسبانيا إلى فرنسا في هذه الفترة واستقرت فيها. وكانت من نتائج عبور الثقافة الإسلامية إلى فرنسا أن أصبحت هذه الدولة مركزاً لنشرها ابتداء من الفرن السادس

.(الهجري الثاني عشر الميلادي

:ثالثاً: الحروب الصليبية

ثم بعد ذلك جاءت مرحلة مهمة جدا وحاسمة وذات أثر كبير في علاقة الغرب النصراني بالإسلام عموما، وعلى الحركة الاستشراقية خصوصا؛ وهي: الحروب الصليبية التي زادت من اهتمام فرنسا أكثر بالشرق العربي الإسلامي. ولا أدل على ذلك من الدور الفرنسي البارز والفعال في شن هذه الحروب على البلاد الإسلامية، وتحمسها الشديد لها حيث كان لها مشاركة فاعلة في أغلب تلك الحملات كما أنها كانت رائدة تلك الحملات فقد انطلقت الحملة الصليبية من فرنسا وكانت فرنسا هي كذلك قائدة خاتمة .الحملات الصليبية وهي الحملة السابعة

،(استغرقت الحروب الصبيبة قرابة قرنين من الزمان (٤٩٠ هـ- ٦٩٠هـ